# عرض كتاب
# الوثائق ودراسة الحضارة العربية
# في العصور الوسطى
# للدكتور عماد أبو غازى

د. جيهان أحمد عمران

## مقدمة

نتناول عرض لكتاب بعنوان "الوثائق ودراسة الحضارة العربية في العصور الوسطى" لمؤلفه الدكتور/ عماد بدر الدين أبو غازي، حيث يحوي الكتاب دراستين في جزئين الأولى بعنوان "الوثائق ودراسة الحضارة العربية في العصور الوسطى" والثانية بعنوان "المؤسسات الثقافية الحديثة في مصر" كل من هاتين الدراستين كانت محاضرة ألقاها الدكتور عماد أثناء زيارة له في اليابان عام ٢٠٠٧م.

وترجع أهمية الجزء الأول من الكتاب في إلقاء الضوء على الإنتاج الوثـائقي للحضارة العربية مع بيان تطور مفهوم الحفظ الأرشيفي لهذا الإنتاج باعتباره إحـدى المصادر لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في المنطقـة العربيـة في العصور الوسطى حيث يتناول هذا الجزء دراسة الوثائق والحضارة العربية في فتـرة العصور الوسطى منذ ظهور الإسلام حتى الغزو العثماني للمنطقة العربية، مستهلا فيها بطرح ثلاث احتمالات في شكل تساؤلات وهي:

- هل كانت الحضارة العربية بعيدة عن فكرة إنتاج الوثائق؟
- أم غاب عن العرب مفهوم الحفظ الأرشيفي لما كانوا ينتجونه من وثائق؟
- أم أضاع تعاقب الدول والغزوات ما تراكم من وثـائق دونهـا العـرب وحفظوها؟

ثم تتناول الدراسة عرض لمفهوم كل من الوثيقة القانونية والإدارية وارتبـاط تدوين الوثائق بظهور الكتابة مع بيان معرفة العرب للتدوين وأثر الإسلام في تـدوين الوثائق، وأهم التطورات في مجال تدوين الوثائق العربية والممثلة في تلك المظاهر وهي الدواوين من خلال إنشاء دفاتر تدون فيها موارد الدولة ونفقاتها، وإنشاء الوثـائق الرسمية للدولة وحفظها، هذا بالإضافة إلى تدوين المعاملات وحفظها لحفظ الحقـوق وأخيرا ظهور السجلات القضائية.

وقد تناول المؤلف عرض نماذج من الوثائق العربية في مصر سواء من الوثـائق الرسمية للدولة أو لتصرفات من وثائق التصرفات القانونية، فكان من أقدم الوثـائق الرسمية وثيقة مدونة على قطعة من البردي تحمل تاريخا بالتقويم الهجري لسنة ٢٢ تم تدوينها أثناء العمليات العسكرية لجيوش الفتح العربي في صعيد مصر، وأيـضا مـن الوثائق الرسمية للدولة المجموعة الموجودة في دير سانت كاترين والتي تتعلـق بحمايـة حقوق الرهبان وتنظيم علاقة الدولة بهم وهذه المجموعة يرجع تاريخهـا إلى العـصور

الفاطمية والأيوبية والمملوكية والعثمانية. ومن وثائق التصرفات القانونيـة الخاصـة نماذج من عقود زواج وطلاق وعتق وبيع وحجج وقف وهبة سواء من عصر الولاة والعصر الفاطمي مدونة على بردي أو رق أو روق ضـمن مجموعـة دار الكتـب المصرية. وأيضا ما يرجع إلى فترة عصر الأيوبيين والمماليك محفوظة بين دار الوثـائق القومية والأرشيف التاريخي لوزارة الأوقـاف وبطريركيـة الأقبـاط الأرثـوذكس بالقاهرة، بالإضافة إلى مجموعة وثائق الحرم القدسي.

كما أشار الدكتور عماد إلى الوثائق الرسمية المحفوظة في بعـض الأرشـيفات الأوربية مثل معاهدة للتمثيل القنصلي بين مصر ومدينة دبروفنيك في كرواتيا هـذا بالإضافة إلى ما تناوله عن أهمية بعض الوثائق التي وصلت إلينا من سجلات المحـاكم الشرعية في اعتبارها مصدر مهما في دراسة تاريخ عصر سابق على تدوينـها وهـو العصر المملوكي.

والمثال الذي تعرض له الدكتور عماد هو أهمية الدفاتر المالية التي ترجـع إلى العصر العثماني والتي حررت في الفترة منذ ق ١٠هـ/ ١٦ م إلى ١٣هـ ـ/ ١٩م واعتبارها مصدر غني لدراسة أوضاع الحيازة الزراعية في العصر المملوكي ولفئـات الحائزين والتوزيع الجغرافي لحيازتهم وعلى أصول هذه الحيازات وتطورها. لأن هذه الدفاتر العثمانية قد اعتمد في بياناتها الأساسية على مصدرين الأول دفاتر دونت سنة ٨٩١هـ زمن السلطان الأشرف قايتباي والمصدر الثـاني دفـاتر الترابيـع لـسنة ٩٣٣هـ والتي وضعت في بدايات العصر العثماني في مصر.

وهنا تلقي الدراسة الضوء إلى جانب أهمية وثائق العصر العثماني في اعتبارهـا مصدرا أساسيا في دراسة جوانـب التـاريخ الإداري والاقتـصادي والاجتمـاعي والسياسي لمصر العثمانية إلا أن لهذه الوثائق أهمية أخرى في اعتبارها مصدر مهما في دراسة عصر المماليك الجراكسة.

ثم أنهى الدكتور عماد الدراسة بمحاولة الإجابة على التساؤل الأخير والـذي أشار إليه في بداية الدراسة ضمن ما أثاره من أسئلة وهو لماذا أضاع تعاقب الـدول والغزوات ما تراكم من وثائق دونها العرف وحفظوها؟

أما الجزء الثاني من الكتاب فيضم في طياته رحلة للقارئ في نشأة المؤسـسات الثقافية الحديثة في مصر بداية من عصر محمد علي باشـا عـام ١٨٠٥ إلى إعـلان الجمهورية عام ١٩٥٣ والممثلة في نشأة المتاحف الأثرية الفنية والتاريخيـة وبيـوت الساسة والمفكرين والمبدعين والتي تحولت إلى متاحف وأيضا المكتبات التي عرفتـها مصر منذ أقدم عصور حضارتها منذ إلحاقها بالمعابد والقصور في مـصر القديمـة ثم بالمدارس والمساجد في العصور الإسلامية إلى أن أنشأ محمد على مكتبة بمقر الحكـم بالقلعة عام ١٨٢٩م ثم ظهور فكرة إنشاء مكتبة قومية مصرية إلى صـدور القـرار بإنشاء الكتب خانة الخديوية في ٢٣ مارس ١٨٧٠ وتحول اسمهـا إلى دار الكتـب المصرية عام ١٩٢٧. وظهور المكتبات الجامعيـة ومكتبـات المؤسـسات الدينيـة ومكتبات الأديرة والكنائس وكذلك مكتبات الجمعيات العلمية والثقافية والأهلية إلى أن شهدت السنوات الأخيرة في مصر نهضة في إنشاء المكتبات الكـبرى الجديـدة المتعددة الأنشطة ثم يعرض المؤلف رحلة الأرشيف القومي حيث بدايتها من إنـشاء الدفترخانة العمومية عام ١٨٢٩م من أجل حفظ الأوراق والـسجلات والـدفاتر الناتجة عن نشاط ودواوين الحكومة وفروعها في الأقاليم بطريقة منظمة إلى صـدور قرار إنشاء دار الوثائق القومية عام ١٩٥٤ لتكون أرشيفا قوميا لمـصر والإعـداد الجاري الآن لإنشاء مبنى جديد لدار الوثائق بالفسطاط وما يلازمه من إعداد لإصدار قانون جديد للوثائق المصرية يلائم التطورات العالمية في مجال الوثائق والأرشيف.

كما تشمل الدارسة عرض لتطور مستقبل دراسة الوثائق والأرشيف في مصر في عصر مجتمع المعرفة الذي يتشكل من دعامات أساسية ممثلة في الإنتـاج الثقـافي للمجتمع وصناعاته الثقافية حيث يحوي مراحل تطور تأسيس الدراسـة الأكاديميـة

للوثائق في الجامعات المصرية مع إلقاء الضوء على بدايات فجر بـزوغ الدراسـات الوثائقية في مصر من خلال جهود وإسهامات ثلاثة مـن الـرواد في مجـال هـذه الدراسات وهم على باشا (١٨٢٤-١٨٩٣) وأمـين سـامي (١٨٥٧-١٩٤١) وعلى بك بهجت الأثري (١٨٥٨- ١٩٢٤) ثم يتناول المؤلـف البـدايات الأولى للدراسات الوثائقية من خلال نشأتها في مطلع الخمسينات من القـرن الماضـي إلى مراحل تطور دراسة الوثائق والأرشيف في مصر في الفتـرة ١٩٥٤ إلى ٢٠٠١٤ ورؤية آفاق مستقبل دراسة الأرشيف في مصر مع إلقاء الـضوء علـى أبـرز رواد المدرسة الأكاديمية لدراسة الوثائق العربية في مصر وهو الأستاذ الدكتور عبد اللطيف إبراهيم (١٩٢٦-٢٠٠١) ودوره الريادي في علوم الوثائق.

وأخيرا ترجع أهمية هذا الكتاب في اعتماد الدكتور عماد أبو غـازي علـى مجموعة كبيرة من الوثائق العربية من حجج الأمراء والسلاطين المحفوظة بدار الوثائق العربية بالقاهرة وأيضا من وثائق بقسم المخطوطات أو بمجموعة أوراق البردي العربي بدار الكتب المصرية أو من مجموعة الحرم القدسي الشريف أو مـن خـلال صـور فوتوغرافية من مجموعة الأستاذ عبد اللطيف إبراهيم أو النسخ الميكروفيليمة لوثـائق مكتبة دير سانت كاترين المحفوظة بمكتبة المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.

بالإضافة إلى اعتماد الدكتور عماد على دراسات اعتمد فيها مؤلفيها علـى وثائق عربية نختار منها أوراق البردي العربية لأدولـف جروهمـان، وثيقـة وقـف مسرور بن عبد الله الشلبي، ووثيقة ببيع لعبد اللطيف إبراهيم ودفاتر الالتزام بديوان الروزنامة لأمنية محمد رشاد، والوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينـة دبروفنيـك لبسيم فورقوت، ووثيقة صلاح الدين الأيوبي لناصر أحمد إبراهيم ومنـشور بمـنح إقطاع من عصر السلطان الغوري لمحمد أمين والوثائق المفردة المحفوظـة ببطريركيـة القبط الأرثوذكس بالقاهرة لمجدي جرجس ووثائق من المتحف القبطي لأحمد رمضان أحمد، وغيرها من الدراسات الوثائقية هذا بالإضافة إلى اعتماد المؤلف على دراسات

رواد المشتغلين بدراسة علم الوثائق والأرشيف في مقدمتهم الدكتور عبـد اللطيـف إبراهيم والدكتور حسن الحلوه، والدكتور محمود عباس حمودة، والدكتورة سـلوى ميلاد والدكتور مصطفى أبو شعيشع، ومحمد خضر هذا بالإضافة إلى عدد كبير مـن المصادر والمراجع الهامة من العربية والأجنبية في مجال الدراسات التاريخية والوثائقيـة والتي تضيف للدراسة أهمية وقيمة علمية.

د. جيهان أحمد عمران